الواقعية وصناعة رواية المهمشين في المنظورين الاجتماعي و النقدي

د. أحلام بن الشيخ
جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

الملخص:

تركز هذه الدراسة على دور الرواية الواقعية في تطوير رواية المهمشين عبر مراحل التاريخ، انطلاقا من التناول الغربي وصولا إلى الأدب العربي، حيث تمكنت الرواية العربية التي عنيت بالهامش والمهمش من أن تحظى بالاعتراف النقدي بتميزها لقدرتها على تجاوز الأدب المركزي، حين نقلت أصوات المهمّشين بعناية تعبّر من خلالها عن قضايا المجتمع و تصورات الإنسان في مشاهد تراوحت بين الحقيقة والخيال.

الكلمات المفتاحية: الرواية- الواقعية- الهامش- المهمش- علم الاجتماع- النقد

Abstract :

This study focuses on the role of realistic novel in the development of the novel marginalized through the stages of history, from the Western approach to the Arab counterpart, where the Arab novel, which was marginalized and marginalized, To receive a criticism recognition of its excellence in its ability to transcend central literature, During which the issues of society and perceptions of the human in the scenes ranged between truth and fiction.

Keywords: Novel - Realism - Margin - Marginalized - Sociology – Criticism

المقدمة:

تتقاذف إلى المشهدين السردي و النقدي المعاصرين متغيرات تتعلق بالتوجهات الأدبية الراهنة التي أصبحت تركن إلى مواكبة الظروف المعيشة للمتلقي، و تستجيب بلغة العصر و أخيلته لمتطلبات القراءة التي لم تعد تتكفف عند حدود التلقي إلى التعبير عن المأمول، وفق رؤى تبين عن وعي هام و تام بمسؤلية الكتابة و مدى استجابتها للواقع، و كذا مدى مساهمتها في الاستفادة من العلوم المحيطة التي تعين على فهم الظواهر و تسخيرها للفنون حتى تعبّر عنها بما يقدّم للإنسان القدرة التامة على معرفة كل ملابسات العيش والتعايش مع الوقائع بما يمليه برهان العلم. ووفق هذا التصور نزعم أن رواية المهمشين إحدى الصور الواقعية التي استفادت من المتغيرات الفنية و الموضوعاتية عبر التاريخ حيث استلهمت صور المهمّش بتقاطعاتها، و اختلافاتها و هو الأمر الذي سنتبينه بالبحث و الدراسة عبر هذا المقال.

الواقعية بين التاريخية و ضبط المفهوم:

تماثلت فكرة الواقعية إلى الوجود بعد اكتمال الأساس الفلسفي للنظريتين الوضعية والتجريبية حيث كان اصطلاح الواقعية موجودا في الفلسفة منذ وقت طويل و بمعنى مختلف عما يستقر في أذهاننا، فقد كان معناه الإيمان بواقعية الأفكار، حين اتصلت هذه المفاهيم الأولى بجهود "أوغست كانت" ثم "شلنغ" في بحثه عن الواقعية المجردة...وصولا إلى سنة1826 أين أطلق المصطلح أول مرة في فرنسا وأصبحت "لاميركير دي فرانس La mercure d.f" تدل على الأدب حقيقي. ثم ظهرت الفكرة القائلة بأن الأدب انعكاس للمجتمع في بداية القرن التاسع عشر "واعتبرت حلقة المهزلة البشرية (1842-1884) بمثابة أول مشروع واقعي مكتمل، يستمد قوته من تصور منظم لمعظم قطاعات المجتمع، ومختلف أوجه النشاط البشري" ([1]). و نال المصطلح نصيب وافر من الجدل يتعذر ذكره لتفاصيله التي لا يسمح بها المقام، غير إن الواقعية في لفظها تحيل "بالمعنى الدقيق، إلى مدرسة أدبية ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر،

وبالمعنى الواسع تعني الزعم بقول الواقع على حقيقته، و هذا ما يشكل الفكرة المركزية لهذه المدرسة، و جرى استعادة هذه الفكرة بشكل أعم و أشمل في المجال الأدبي"([2]).

لقد مرت الواقعية بمراحل طويلة و حاسمة سبغها النضج الفكري، حتى وصلت إلى صورتها المعروفة في العصر الجديد، حين تبلورت أفكارها من خلال جهود العلماء و المفكرين والفلاسفة. و لما ظهر عصر الاهتمام بالدراسات الإنسانية و محاولة إخضاعها لمناهج البحث العلمي، كانت الواقعية نتيجة تلقائية لهذا العصر الذي عُرف أيضا بعصر المجتمع و الطبقات الكادحة و عصر العلم والمادية، في سبيل بناء جسر بين العلم والإنسانيات.

و رغم أن المنطلقات الفكرية للمذهب ترجع إلى علاقة الفكر بالمتخيل انطلاقا من جهود "بيكون، أوجست كانت، ستيوارت ميل،و كلود برنار -في الدراسات التطبيقية-" مرورا بـــ : "نظرية الدوافع عند سبينوزا، وجهود منتيسكيو وصولا إلى لامتري، شارل فوبيه حتى استقر الأمر بالنظرية عند كارل ماركس"([3])، فإن التشعب في النظر إلى المصطلح وماهيته ظل خلال كل العصور المشار إليها سلفا، يلوّح يمنة و يسرة إلى اختلافات فلسفية جذرية تتحكم بها طبيعة الكتابة في الأقطار الغربية على حد سواء، بدءا من الرعيل الأول المؤسس لهذا النوع من الكتابة الإبداعية، و انتهاء عند الصورة التي نعرفها عليها اليوم. وانطلاقا من اللغط الذي دار حول جذور التأسيس و بوادر الريادة، الصادر عن هيمنة الإيمان بالخلاف حول ما يسمى بالواقعية، دار جدل عميق حول تقاطعها مع المثالية أو الرومانسية-على أن بينهما تناقضا-،حيث أن المنجذب إلى هذا الرأي من النقاد يحصر اهتمامه على إبرازها كوجهة نظر ذات مدلول اجتماعي و ارتباط طبقي، أما الطرف الأخر فيضعها مقابلة للطبيعية ويركز على مشاكلتها للحياة بمظاهرها الخيّرة والشرّيرة أو الدنيئة([4]).

و ترتكز فكرة التقاطع مع المثالية في:" أن الكاتب الواقعي هو الذي يعتقد بأهمية التعبير الصادق عن الحقائق المشاهدة في العالم الخارجي، أو التي ينطوي عليها شعوره الخاص. على حين يحرص الكاتب المثالي على خلق صورة سعيدة نوعا ما و مهذبة"([5]) فالكاتب الواقعي يولى الأهمية السامية للمواجهة الخارجية و اتّباع وسائل العرض المباشر دون الأناقة التعبيرية و الاستعراض الفني المغري و الهادئ، "إن صلب الموضوع كله يكمن في أن الرواية ليست صورة منقوشة للحياة يحكم عليها بمدى مطابقتها ولكنها تبسيط لجانب من الحياة ترتفع أو تسقط ببساطتها المعبرة"([6]) ، و هنا يكمن الفرق الجوهري بين الواقعية و المثالية، لأن "الرواية الحقيقية ارتياد و ليست استعراضا والروائي الحقيقي يصل إلى إحساسه بالحياة من خلال روايته و لا يبني روايته لتصور ذلك الإحساس"([7]).

وقبل أن تأخذ الطابع الناقد للوقائع و المتشائم حيال ما هو موجود في الحياة، في منتصف القرن التاسع عشر، كانت الرواية الواقعية تعنى بما تألفه الطبقات الوسطى من المجتمع من خلال استعراض صراعاته المختلفة، منها صورة الجدل الدائر والمحتدم مع الطبقة الحاكمة و الكنيسة وغيرها من مظاهر الصراع الطبقي المستشرية في النص الروائي الغربي آنذاك، مختزلة المظاهر السلبية للحياة في المجتمعات الأوروبي، مستخدمة الأسلوب الساخر في بعض الأحيان، كما أنّها عرضت ما أصبحت المرأة تتبوؤه من مكانة في ظل مجتمع لم يكن يتقبل مجرد فكرة حضور المرأة كجزءا من مظاهر المجتمع الحضارية أو حتى مكونا إنسانيا مجسدا بعمق في القضايا الخاصة و العامة إن لم تكن هي ذاتها سببا في إثارة جل قضاياه، و تأتي هذه النقلة النوعية بعد صراع جنسي طبقي طال أمده خاضته المرأة مواجهة جل مظاهر التعسف و العنصرية إزاءها.

إنه العصر الذي شهد إبداعات:" بلزاك فلوبير ديكنز،ريتشاردسون، فلدينج و سموليت"([8]) وهؤلاء هم من أسّسوا فعلا لهذا المذهب أدبيا وأثّروا تأثيرا قويا في جمهور الطبقة الوسطى، حين طرحوا جانبا التنميق اللغوي و تقنيات الكلاسيكية في سبيل إبراز الرواية كوثيقة للحياة الواقعية، تقوم على اختزال المذكرات و الرسائل و العادات والمشاهدات... مما يجعلها أكثر قربا من القارئ.

و أضافت ذات الجماعة بعدا آخر للواقعية بعد أن دعا فلدينج "إلى تناول الحياة في الرواية بجدّة ونقد لا يصل إلى التشويه أو المسخ الشرس، فالرواية يجب أن تنهض على أساس ناقد ذي طابع هجائي غير مبالغ، و الهجو يجب أن يوجّه ضد النوع أكثر منه ضد الشخص"([9])، بغرض أن تحقق الواقعية مساعيها و لا تستجمع أسباب العداء والرفض و هي تأسس لنفسها مذهبيا و فنيا. و في مطابقة الواقعية للطبيعة* أخذ الموضوع مجالا كبيرا من النقاش ضمن حلقة التأريخ للمذهب وتطوره نظريا و تقنيا بين القرنين التاسع عشر و العشرين، حيث تعرّف " الواقعية و الطبيعية في سياقهما التاريخي. لقد كان الاصطلاحان اختزالا لظواهر ثقافية بعينها محدودة بزمان و لا يمكن فهمهما إلا من خلال دراسة تلك الظواهر"([10])، و تؤرخ دائرة المعارف البريطانية للمدرسة الطبيعية منذ ظهور "مدام بوفاري" Madamme) (Bouvarie لفلوبير، على أن الدارسين الأوروبيين لا يتفقون على خصائص بذاتها تفرق الواقعية عن الطبيعية..([11])، و تنحصر دائرة التشابه إن لم نقل بعض التطابق بين المدرسة الطبيعية و الواقعية في "أن الواقعيين يجب أن يقال عنهم –لنكون أكثر صدقا أنهم الوهميون-و تعتبر الطبيعة المرادف الأدبي للانطباعية في الرسم، فكما يرسم الانطباعيون الأشياء كما يرونها في ظروف معينة من الضوء و الجو فإن الطبيعيين يصورون الكائن البشري فيما يختص ببيئته.."([12]). حتى أن الواقعية الطبيعية في مختلف صورها أصبحت تمثّل القاعدة و ما دونها لا يقع إلا في دائرة الاستثناء أو أنه نوع من أنواع التجريب.

أما في القرن العشرين، فقد عرفت الواقعية تطورا شابه التناقض حين استخدمها مؤرخو الأدب في فرنسا " للإشارة إلى روائيي خمسينيات القرن، فيما استخدمها النقد بطريقة أكثر شمولا للدلالة على نتاج روائي يتميز بسمات من نفس النوع."([13])

أما من الناحية العربية فقد تم فهم الواقعية و ضبط دلالتها، حيث دل على " الأدب الذي يقوم على ملاحظة الواقع و تسجيله لا على صور الخيال و تهاويله و أحيانا أخرى يفهم منه معنى الأدب الذي يستقي مادته وموضوعاته من حياة عامة الشعب ومشاكله، و هو بهذا المعنى يعارض أدب الأبراج العاجية، أي أرستقراطية الفكر و الخيال. و قد لا يفهم منه أنه الأدب الموضوعي وكأن واقع النفس الفردية لا يصلح مادة للأدب الواقعي"([14])، وهذا الفهم للواقعية يقع في صميم علاقتها بالرومانسية على أن الأخيرة تعبير محض عن الذات و ما يعترضها في الحياة فإذا كانت تنقل جملة ما يداخلها فإنها جزءا لا يتجزأ من هذا الواقع، كما أنها تتفاعل معه فهي تنقل بطريقة غير مباشرة كل ما يقع فيه من تفاصيل، غير أنها أميل في نقلها إلى التشاؤم من نقل الصورة السعيدة التي تحافظ عليها المثالية بعمق.

و إذا ما وجهنا النظر إلى القصد بالأدب الذي يستقي موضوعاته من الحياة ففي هذا القول تلويح لأحد فروع الواقعية و أنواعها، إنها الواقعية الاشتراكية التي مثلت خطا متميزا انبعث من القطب الروسي، ليعني تحديدا توجيه الأدب لمشاكل الحياة، "حيث نرى الاشتراكيين يقصدون من هذه الواقعية إلى تناول الأدب لمشاكل المجتمع و مظاهر البؤس و الفاقة التي ترزخ تحتها طبقات الشعب العاملة بسواعدها أو بعقولها، و ذلك لإيقاظ وعي الجماهير و دفعها إلى حل تلك المشاكل بطريقة أو بأخرى"([15]) ، حيث أدت فكرة التلازم بين ضرورة التغيير الاجتماعي في روسيا (الاتحاد السوفياتي سابقا) و فكرة رفض الاتجاه الواقعي فنيا و تعويضه بالواقعية الاشتراكية مطلبا رئيسا اعتنقه السوفيات ودافعوا عنه باستبسال إلى أن أصبح لسان حال الأمة ككل، استبشارا بما يمكن أن يحققه الفرد ضمن الجماعة،"إن ما نسميه واقعيا ليس إلا الصورة الذهنية التي لدينا عن الحياة .. و لما كانت هذه الصورة ملكنا نستطيع أن نلونها باللون الذي نريده و الذي فيه مصلحة لأنفسنا و لمجتمعنا، و نحن في حاجة إلى أن نقاوم عوامل الشر و اليأس والتشاؤم وبخاصة بعد أن نجحت ثورتنا الاشتراكية الكبرى و ردّت إلينا بفضل نجاحها الثقة في أنفسنا والإيمان بأن في استطاعتنا أن نسيطر على مصيرنا و أن نتغلب على عوامل الشر و الفشل، ثم إنه لا يلزم –لكي يوصف الأدب بالصدق- أن يقص ما حدث فعلا بل يكفيه أن يقص ما يمكن حدوثه، وبذلك يكون أدبا معقولا مشاكلا للحياة و بالتالي

صادقا"([16])، و بتركيز منها تقيدت الرواية بتكاليف الحياة اليومية، و بكل ما يتذبذب فيها من مشاكل و تقلبات منذ نهاية الحرب العالمية الأولى و بزوغ نجم التيار الواقعي الاشتراكي حيث أضحت حياة الكادحين و أبناء الطبقة المتوسطة و ضحايا الفاقة و العوز، وغيرها من القضايا و المشاكل مادة صرفة ملأت الروايات الغربية كما العربية حتى التمام "فالحرية تفسح المجال لنمو الحقيقة، و البوح بها يوجب على الأديب أن يفقه هذا المجتمع و يخبر بعمق عن قضاياه و مشكلاته، و عندما يغوص في وصف الوقائع التي تعري أمته و تكشف عن قضاياها يستطيع عندئذ أن يمارس حريته بحق و يساهم في تكوين قيم جديدة يضيفها إلى هذا العالم"([17]). لقد ظل موضوع الفرد والمجتمع ملازما للأدب الروسي في القرن التاسع عشر، بل أنه كان أهم موضوع يمكن تناوله في تلك الفترة من تاريخ الأدب العالمي ككل، مما يفسر قوة تأثير هذا النوع من الكتابة على طبقات الشعب في سائر الأمم في فترة عرفت باستقرار العبودية وإجهاز الطبقة الحاكمة على قوى الشعب وثرواته حتى وصلت الحياة بهم إلى طريق مسدود. و لم يبتعد ذات السياق عن مفهوم لوكاتش بأنها بمثابة جهد للإحاطة بالكلية الاجتماعية، كما فعل بلزاك وتولستوي، و أن الرواية الواقعية هي "ملحمة العصر" لا تعرض فيها كلية الحياة الواسعة بطريقة مباشرة عصر غدت فيه ملازمة المعنى للحياة مشكلة، هذا مع عدم التخلي عن الرؤية الشاملة والكلية."([18])

لقد عالج الواقعيون موضوعات تاريخية في قصصهم و مسرحياتهم و قاموا بتقديم روح العصر بتفاصيله الداخلية و الخارجية، لكن الواقعية الأوروبية توجهت توجها نقديا تصف فيه المجتمع كما هو دون أن تبحث في الحلول المناسبة، غير أن الواقعية الاشتراكية تصور الشر و البؤس و تفتح أبوابا للتخلص منه. و بما أن الأدب وسيلة في منظورهم لم يكلف الواقعيون بأساليبهم، و أعاروا اهتمامهم للمنطق و للطريقة التي تعبر عن الأحداث تعبيرا واضحا لا تشوبه شائبة.

لقد أعطى رولان بارث فهما جديدا للواقعية بعيدا عن الفهم السائد حين ركز على تأثير الواقعية، معتبرا أن النص الأدبي لا يشكل انعكاسا تاما أو كليا للواقع، بل " يحوي أشياء تعارض الواقع على شاكلة "تفاصيل مادية" صغيرة، و هذه التفاصيل تولّد الوهم الذي يقوم عليه جمالية الممكن"([19])، أما فيليب هامون فقد حاول أن يبين الأسس التي تضمن للنص الواقعي انسجامه ومعقوليته بدء من معالجته الأشكال المختلفة للإطناب، انتهاء إلى مختلف أشكال التحالف القرائي بين المبدع و المتلقي.

و إذا كان الفن عموما يرتبط بحياة الإنسان، فإن الرواية ترتبط أثناء ظهورها الفعلي "بالالتفاف نحو الواقع و العكوف عليه و هو التفاف فرضته التحديات الحضارية والحركة السياسية و التطورات الإيديولوجية.."([20]) و بذلك فالرواية انعكاس للواقع، لكنها ليست تابعة له تبعية تامة، حيث أن لها استقلالها الفني على البناء التحتي للمجتمع، كما أن لها استقلالها عن بقية الأنواع الأدبية.

و من المعلوم أن المجتمع يمثل بطبقاته كلا متجانسا، يعكس الاختلاف الحاصل بين هذه الطبقات في أبعاد مختلفة تتناولها الرواية مراعية مستويات الاختلاف و التمايز، و هو ما يطلق عليه رواية الهامش، حيث انتقلت هذه الرواية من الاهتمام بالقضايا العامة أو قضايا المركز -كما يسميها النقاد- إلى استلهام أزمات الطبقات البعيدة عن المركز أو المؤسساتية و التي أصبحت تستحث القراءة بطروحها الواقعية ومناويلها الفلسفية، و لعل تتبع أسباب انبثاث هذا النوع من الكتابة في صميم الفنية، و معالجة دوافع حضورها لواجب بالبحث في هذا المقام.

المهمّش بين المنظورين الأدبي و الاجتماعي:

جاء في لسان العرب (الهمْشَةُ: الكلام و الحركة،... وامرأة هَمَشَى الحديث، بالتحريك: تكثرُ الكلام وتجلِّبُ ... و الهمْشُ و الهَمَشُ: كثرة الكلام والخَطَل في غير صواب)([21]) والمعنى هنا إنما يدل على الزائد عن أصل الكلام أو حواشيه من غير فائدة، و ألصقت العرب صفة "المهذار" على كثير الكلام على أن يكون كلامه بغير فائدة. و لفظة

(المهمّش) "اسم مفعول من همّش، وهو صيغة توحي بوقوع الفعل على المفعول به، وكما هو معلوم في قاموس الصرف العربي فإن صيغة (فعل) توحي بمعنى القصدية والتخطيط سلفا لبلوغ هدف ما"([22]) و المعنى هنا يرمي إلى وقوع فعل التهميش على المهمّش من غير إرادة منه ولا رغبة، و جاء في بعض المعاجم أن معنى تهمّش تأكّل و تحكّك ويقال هامش الكتاب أي حاشيته.

أما في الاصطلاح فننطلق من المنوال الفلسفي الإنساني، حيث تنوعت محاولات الكثيرين من أمثال: "ميشيل فوكو، M. Foucolt وجاك ديريدا J. Derida، وبيير بورديوP.Bordio ، وإدوارد سعيد، وجوليا كريستفيا J.Kristiva،..." وغيرهم من المفكرين الإنسانيين في العصر الحديث ممن اعتنوا بشتى صور الإقصاء والتهميش والعزل الإنساني، حيث بحث فوكو في أحوال المرضى والمجانين وأسباب أمراضهم وكذا النساء، على أنهم يمثلون الطبقة الدنيا في المجتمع، مختزلا صورهم اللا قيمية في هذا المجتمع الجاحد، فالمهمشون وفق هذا السياق مدخل لفهم ثقافة المركز، التي اعتنى بها "دريدا" في مؤلّفه "الكتابة والاختلاف" كاشفا عن ثقافة المركز، ومركزيتها الإقصائية للأطراف، حيث لا ترى إلا نفسها، ولا تقرأ اختلاف الآخر، ليقدّم على ضوئها "إدوارد سعيد" فهما توفيقيا لهذا كله، حيث يظهر المهمّش في نظره نسقا مختلفا ومغايرا تحاربه وتهمشه المؤسسة السياسية والثقافية الغربية، لرميه- أي المهمّش- حجرا معرفيا يحرك مياه الفكر الاستعماري الراكدة والثابتة. بينما صوّر "بيير بورديو" حالات المعزولين من المهاجرين الجزائريين في أحد الأحياء الفرنسية الفقيرة في كتابه "بؤس العالم"، و لا تبتعد عنه في الرؤية عينها "الناقدة جوليا كريستيفيا" في كتابها: "غرباء عن أنفسنا في رصد حالات المنفيين والأجانب والغرباء، وتحليل نفسي دقيق لأدق تفاصيل المغتربين من حيث اللغة، وممارستهم لها، وكيف تكون اللغة بحد ذاتها حاجزا نفسيا كبيرا يمنع من التواصل مع الأخر، وغيرها من الصور اليومية لعذاب المغترب والمعزول"([23]).

و من حيث وجهة النظر العربية، تعرض الناقد مجدي توفيق لمفهوم "المهمشين" حيث اعتبرهم الفئة أو الجماعة التي تقف خارج العملية الإنتاجية للمجتمع سواء كان ابتعادها لأسباب عرقية أو جغرافية أو اقتصادية.([24]) كما استوقف التعبير عن المهمش الناقدة "هويدا صالح" كثيرا حين اهتمت بالمهمشين والمنسيين الذين تفنن المركز فى إقصائهم والنيل منهم، كاشفة فى مفتتح دراستها المتميزة عن هذا الانحياز الإيديولوجى، حين اعتبرت أن ثقافة المهمشين الشعبية "تكرس لقيم نبيلة يتبناها مجتمع المهمشين، تأكيدا لفكرة أنهم مهمشون لكنهم أيضا نبلاء، ويتبنون قيما إيجابية لا تقل عن قيم المركز"([25]).

ومما سبق يرمي الإفضاء بوجود المهمّش، " وجود من قام بفعل التهميش، ومن المعلوم أن القائم بالفعل يمتلك القدرة على إنجازه و القيام به، يعني ذلك أن المهمّش ليس صاحب سلطة ونفوذ وحائز كل الآليات التي من شأنها أن تحوّل المفعول به إلى ذات خاضعة و سلبية، بل فاقدة لكل قدرة على تحويل موازين القوى لمصلحتها. فالعلاقة بين الطرفين قائمة على الصراع والسيطرة، و هي سيطرة تستمد شرعيتها من امتلاك المهيمن لكل وسائل القهر و الإلزام: الاقتصادية والاجتماعية و السياسية و الثقافية، مما يشرع له اعتماد العنف المادي و المعنوي لحمل المقصي على قبول وضعيته تلك"([26]) . إذن ففعل التهميش عنصري بالمعنى المستدلّ عليه من المقولات الفلسفية والاجتماعية و النفسية التي تلبس صفة القهر والاضطهاد على الفئة المهمشة سواء كان التهميش ماديا أو معنويا، و يجمع مفهوم التهميش هنا "كل أنواع المنبوذين و المقصيين من قبل جماعة ما أو من قبل مجتمع بأسره كالسود والفقراء، والنساء وغيرهم كثير"([27])، و يحيل معنى المنبوذ والمقصي في فهم كثير من المفكرين إلى الآخر لذا تتداخل المفاهيم إذا كان هذا الآخر لا يعني الغريب لغة و حضارة وفكرا، "فالآخر هو غير الذات سواء أكانت تلك الذات فردية أو جماعية"([28]). إن مسألة النظر إلى الآخر المختلف لونا أو عرقا أو جنسا أثرت وبشكل كبير إبان القرون الوسطى على نظرة الناس بعضهم لبعض، إلى درجة انقسمت فيها الأجناس و الأعراق إلى طبقات أسّسها البشر و عاشوا على ضوئها قرونا متتالية، حتى

قامت الثورات المناهضة للعنصرية بأشكالها المختلفة، بما فيها العنصرية الفكرية التي غذت النظرة إلى المختلف ومن ثمّ المهمش على أنه عدو يفتقر لما تتميز به الجماعة.

ليس غريبا أن النظرة إلى المهمش تقترن بالفهم السلبي الضعيف الذي يرمي إلى أن هذا المهمّش ناقص أو ضعيف أو أنه لا يرقى أن يعيش الحياة كما يجب أن يعيشها المركزي، حيث أن " الذات المهمشة ذات مقصاة من المركز، ومن ثم فإن العلاقة بينها و بين المهيمن على المركز... علاقة قوامها الصراع. ومن هنا تتراءى لنا الصلة الوثيقة بين الإقصاء والتهميش، فالمهيمن صاحب نسق قيمي يتحدد وفقه و يحدد مواقع بقية الذوات الاجتماعية الأخرى منه، مما يعني أن درجة الهامشية لدى المهيمَن عليه مرتبطة بمدى نجاح المهيمنين في إقصائه من النسق كليا أو جزئيا"([29]).

الهامش و المهمّشون في منظور علم الاجتماع المعاصر:

الهامش و نظرية الجماهير الحاشدة:

نظرية الجماهير الحاشدة هي واحدة من نظريات المجتمع التي ظهرت في نهاية القرن 19، تأسست على مبدأ الفصل المزعزم بين الفرد و الأخر و مشاعر العزلة و التغريب التي تنشأ بين أفراد المجتمع الواحد أو داخل الإثنية الواحدة، و قد ربطت هذه النظرية نشوء المجتمع الحاشد بحركة تحول المجتمعات من صورتها التقليدية إلى صورة حديثة([30])، و قد أكد المفكر "**فرديناند تينيس F. Tinnis** " أن أولى مظاهر التحول تلك تمثلت في انهيار عوامل الثقة بين الأفراد حين استبدلت " تلك العلاقات القائمة على الثقة والعلاقات الوطيدة مثل تلك الموجودة في الأسرة و المجتمعات الصغيرة إلى العلاقات القائمة على العقود القانونية مثل تلك الموجودة في المؤسسات الحالية"([31]) ، ولعل انسحاب عنصر الثقة قلل من أولوية انتماء الفرد لجماعة عرقية أو دينية مما عزز التفكك الذي شهدته المجتمعات الحديثة منذ نهاية القرن الثامن عشر، حيث حاولت الكثير من النظريات الاجتماعية تفسير عدم تحقق الديمقراطية وفق نظرية الجماهير الحاشدة رادة ذلك إلى أن كل عوامل التطرف بين الأفراد تنشأ عبر التأثير الذي يتولد عن وحدة الانتماء، ثم تتيح هذه النظرية الفرصة لنظرية أخرى هي نظرية " الطلقة السحرية" لتعتبر هذه الأخيرة أن مستويات التأثر و التأثير تكون أكثر شيوعا إذا ما انتشرت الأفكار ضمن الإثنية الواحدة لتتفاعل معها بروية أحسن من إطلاقها بصفات فردية، و منه ظهر تفسير تأثير الرأسمالية في إشاعة الفوضى في المجتمعات الحديثة.

يقول صاحب النظريات الاجتماعية الفرنسي "**جوستاف لوبون G.Loubon**" في كتابه الشهير "**الجماهير**": " لا يوجد شيء ذو تأثير كبير على خيال الجماهير من التمثيليات المسرحية والعروض المسرحية حيث يمر الجماهير على اختلافهم بنفس العواطف في الوقت نفسه و إن لم تكن هذه العواطف قد تمثّلت إلى أفعال في نفس الوقت، وذلك لأن معظم المشاهدين غير الواعين لا يمكن تجاهل أنهم ضحية للأوهام و أنهم يضحكون أو يبكون على المغامرات الخيالية و في بعض الأحيان فإن المشاعر التي يتم اقتراحها من خلال الصور تعد بالغة القوة و تقدم مثل المقترحات المفترضة إلى أن تحيل نفسها إلى أعمال"([32]) ،يعني ذلك ان مستويات التأثير التي يرمي إليها لوبون Loubon تضع المتلقي أمام الفوارق الناجمة عن الإحساس بمركزية المشاعر والأحاسيس و هو الأمر الذي قدّم للعديد من نظريات إشاعة الفوضى والتفريق بين فئات الشعب و من ثم أوصلنا إلى تأصيل ما يسمى بالهامش في كل شيء.

دور علم الاجتماع المعاصر في ضبط المفهوم:

إن ظاهرة التهميش موجودة منذ القديم و لو تعددت أسبابها -كما تمت الإشارة إليه سلفا-، فعبر مراحل التاريخ المتتابعة لم تكن فكرة التنظير للظاهرة أو تفسيرها أو البحث في أسبابها المختلفة واردة إلا بعد أن بعثها علماء الاجتماع في العصر الحديث، بعد اكتمال النظرة للمجتمعات وخصوصياتها وأنساقها و سبل العيش والتعايش بينها، و كذا أديانها وعلاقات الأفراد بينها، لقد بعثوا فكرة قياس أنماط التهميش وأسبابه وسبل الحَوْل دونه كظاهرة سلبية تؤثر على تطور

المجتمعات، حينها ظهرت عبارة "الإنسان الهامشي" مع عالم الاجتماع "روبار بارك (Robert Park)" سنة 1928، حينها ظلت ولوقت طويل مقتصرة على التهميش بالمعنى الاقتصادي. في حين فضّلت العلوم الاجتماعية طويلاً مفاهيم أخرى من قبل الفقر، الأقلية، المنحرف والمقصيٍّ والمختلف...عبارات متعددة تغطي بطريقة مختلطة ظواهر اجتماعية واقتصادية وحتى مكانية([33]). لقد قدّم علم الاجتماع "الذات المهمّشة ذاتا فاعلة بإمكانها تأسيس ثقافتها و إثبات هويتها، إذ بإمكاننا تجسيد أشكال من الفعل الجماعي الذي يرقى إلى مستوى الحركات الاجتماعية فالتنظيرات المعاصرة لم تتعامل إذن مع الذوات الهامشية على أنها ذوات سلبية تقبل بما تمليه عليها ثقافة المركز؛ لأن العولمة لا تعني، في اعتبارها، قتلا لكل أشكال المقاومة، بل هي على العكس من ذلك، تحفز الذوات المقهورة على خلق مجال فعلها الخاص فتستيقظ هويات ثقافية تتخذ أشكالا تعبيرية متعددة: إثنية، دينية، عرقية، قومية..."([34])، ومنه يمكن اعتبار خطاب فئة المهمشين خطابا خاصا يعبر عن واقعهم الدوني من منظور المركز، و ينطلق هذا الخطاب من واقع التفاعل بين قوى المجتمع، هذا التفاعل الذي يفضي إلى تعيين المشكلات التي تعانيها هذه الفئات دون غيرها. و في واقع علم الاجتماع المعاصر فإن التاريخ لا تصنعه الفئات المركزية أو من تعتبر نفسها كذلك لأنها تتقاسم الأدوار مع غيرها من الفئات التي لا ترى فيها أو من خلالها كبير فائدة "فالمهمش، ليس ذاتا مادية موسومة تعيش في قاع المجتمع؛ لأن الهامشية تحدّد من واقع العون الاجتماعي داخل الحقل. و من مدى فاعلية الأرصدة التي بحوزته. فهامشية المثقف داخل الحقل السياسي لا تعني بأنه محكوم عليه بألا يكون إلا هامشيا، لأنه غير ذلك في الحقل الثقافي، حيث يحسن إدارة اللعبة و يمتلك آليات التحكم فيها لصالحه"([35]). ولعل فكرة الهامشية في منظور علم الاجتماع المعاصر لم تتولد كواقع إلا بعد الصراع الاجتماعي الناتج عن المشاكل الاجتماعية والسياسية و النفسية المختلفة في المجتمعات القديمة والمعاصرة والتي تؤكد أن مثل هذه الأفكار تتنامى في المجتمعات الحضرية حين تصبح الذات قوة تنظر إلى كل ما يحيط بها من منظور أحادي يلغي أهمية الفكر الجمعوي أو التشاركي وهو الفعل الذي تقوم عليه المجتمعات الريفية من القديم إلى الحديث، و حيث ننظر إلى هذه المجتمعات الصغيرة بصورة ثاقبة فإننا لا نرى فيها تهميشا لدور الفلاح مثلا وهو المحور أو المركز حين ننظر لما يوفره في الحياة من فائدة مادية مرهونة بوجوده.

إن الفئات المهمّشة في المنظور السياسي المعاصر فئات مثيرة للفوضى و الشغب و لا تكاد تقدم لمجتمعاتها شيئا إذا لم تندمج مع بقية النخب، لكن الفعل أو الواقع يثبت عكس ذلك فهذه الفئات لا تكاد تتقدم إلى الواجهة إلا وفق منظومة سياسية معينة تسمح لها بالظهور، أو أنها تستغلها لحساباتها الخاصة لقاء فائدة تحصّلها، إن هذه الفئات لا تتمكن أبدا من الظهور إلى الواجهة لأنها ترفض أن تستغل قضاياها لصالح غير صالحها، كما أنه من غير الممكن القضاء على فكرة التهميش كفكرة ومن ثم كظاهرة لأن "الهامشيين فئة اجتماعية لم تكن يوما موضوع دراسة، و لم ينظر إليها في مجتمعاتنا العربية المعاصرة كظاهرة، لأن ذلك يتطلب قيام عمل مستقل بذاته له مناهجه وموضوعاته"([36]). و لأن المجتمعات العربية ظرفية يتحكم بها العالم و ما يعتريه من متغيرات فإن واقع التهميش و المهمشين مرشح للتعقيد في ظل الوقائع المتقدمة نحو التأزم.

المهمّش في الآداب الأوروبية:

انطلاقا من الإصرار على أن فكرة الهامش أو مفهومه متغيران بحسب الظروف الزمنية والمكانية فإنه من الجدير التنويه بأن النظرة إلى المهمّش في العرف الغربي عموما اتصلت بالمتغيرات الفكرية والثقافية و السياسية و الاقتصادية و الحضارية... التي عرفتها هذه البلاد على حدّ سواء، حيث تقرّر أنّ النظرة إلى المهمّش لا تكاد تراوح نظرة طبقة لأخرى أقل منها قيمة، و تتعامل معها تعاملا فوقيا، لا تتزحزح من بين ثناياه الفكرة العنصرية ذاتها التي تلوح في العالم أجمع، فكرة الآخر: الفقير، المعدم، المحروم، العبد، المقصي، ....وغيرها من الاعتبارات التي اختلفت بحسب المعتقدات والعادات و التقاليد و الحضارات.

و إن نحن خصصنا الحديث عن الهامش و المهمّش في المنظور الغربي و حاولنا استنطاق دفاتر التاريخ لوجدناه زاخرا بالتعبير عن المهمّش، رغم اختلاف المناويل الأدبية من قصة ورواية وشعرا ومسرحا... وقد ظهرت هذه الفنون جميعا في هذه البلاد و نالت حظها من تطوير ذاتها باجتهادات أدبائها و انفتاحها على تطورات فكرية و اقتصادية واجتماعية سمحت بتناول مظاهر الحياة أدبيا وبشكل مسهب.

يعتقد كل من "كزافييه قالميش K . Gualmech ودلفين بكتلD. Pectell"([37]) أن الرغبة في التعبير عن الشخصية المهمشة في الأدب، وخاصة في إنتاج الرواية يعدّ حشوا. حيث لا يمكن تصميم البطل في وضعية الجبان فحينها لن يستأثر باهتمام المتلقي الذي يحضر في ذهنه غالبا الوصف الحسّي و المعنوي لنمط موحد لصورة البطل، و كل ما يتصل بهذه الصورة من قدرة فردية للمتلقي على تخيّل الخوارق و الأعاجيب التي تكلّل صورة البطل و تستكمل وجوده ضمن الإطار أو المشهد الذي يظهر فيه، وبالتالي يمكن للمرء قياس فعاليته، لخلفية أكثر أو أقل واقعية، ضمن المجتمع الذي يتحرك ضمنه. لذلك تعبّر معظم الروايات التي تتناول المهمّش أو الروايات المهمّشة -إن صحّ التصنيف- عن فكرة "الرفض".هذا ما أطلق عليه الناقد "هانز ماير" Hans Mayer أدب"غير الأسوياء" أو "المهمشين" و يقصد به: "الأدب الذي ينتمي إلى فئة صغيرة، سواء تعلق بالذاتية الإبداعية أو تفرد من حيث الشكل والمضمون. إنه يتعامل دائما مع حالات استثنائية."([38])

و في إطار تتبع الشخصية الهامشية ضمن تطور الأدب الغربي يرى "هانز ماير" أن ظهور هذه الشخصية ناجم بالأساس عن المأساة اليونانية، والتي- حسب قوله -لا تعترف سوى بالشخصية غير المألوفة، أو ما اختلفت في قدراتها المادية و المعنوية عن كل الصفات الطبيعية، و ما دونها مهمّش لا قيمة له أو أنه ملعون من طرف الآلهة التي تتحكم في مصائر البشر.

في وقت لاحق، قررت المسيحية في القرون الوسطى أن المهمشين هم من الهراطقة (الوثنيين، الكفار والطائفيين واليهود) الذين يرفضون العقيدة المسيحية وبالتالي يتحملون خطيئة أو "مصير خيانة يسوع". ووفقا "لهانز ماير" فإن العلمنة التي رافقت النهضة مكنت من وجود ديانات هامشية "خارج العقائد"، ولعل الشخصيات الفريدة التي نشأت في الآداب المختلفة مثل: (هاملت، فاوست، دون جوان، دون كيشوت) مثلت ثلة من الأجانب داخل المجتمع القائم على دعائم دينية و ثقافية وحضارية واضحة، حيث لا تقتصر بطولة هذه الشخصيات سوى على حدود الجسم ونبضات الشخصية. و في أواخر القرن السابع عشر ظهرت النخبة الارستقراطية التي دعت إلى اعتناق "التسامح" اتجاه الاختلافات القائمة في العرق والثقافة والدين والأخلاق.

المهمّش في أدب القرن الثامن عشر:

يرى "هانز ماير" أن الأرستقراطية المثالية صادفت نشأة التنوير*، وأدت تدريجيا إلى أيديولوجية رجعية، حيث حولت البرجوازية المجتمع من باحث عن التسامح إلى داع إلى التكامل، الأمر الذي طمس الفروق بين أطياف الشعب. وهذا ما أدى إلى فشل التنوير وانحلاله في النظام غير العادل البرجوازي في القرن التاسع عشر بسبب المنافسة، و عدم المساواة..

و بدأ تمثيل ثلاث شخصيات هامشية في الأدب الأوروبي ظهرت في نصوص متفرقة هي: النساء ("جوديث ودليلة")، مثلي الجنس ("سدوم") واليهودية ("المرابي"). و هي نصوص ظهرت في الوقت نفسه، و رغم عدم وجود رابط مشترك بينها، إلا أنها مثلت مظاهر لا يمكن اختزالها أو تجاهلها. ورغم ظهور هذه النصوص التي عبرت عن وجود تفككات داخل المجتمع الأوروبي ظل هذا الأخير ينظر إلى مجتمعاته على أنها متماسكة أمام جميع التيارات التي تحيط بها. " ومن هنا ظهرت مجموعة من الأبطال يطاولون قامة هاملت، وعطيل، وأوديب، وأرفيوس، وسائر الملوك والنبلاء الذين يواجهون المأزق التراجيدي, أو يصارعون قوى أكبر من طاقة احتمالاتهم, لعلهم يظفرون بخلاص نهائي

من تلك العذابات التي تتسم بالقدرية والتباعد عن ملامسة تفاصيل الواقع الحي بزخمه وعلاقاته العادية"([39]) بمعنى أن مثال المشهدية البطولية كان بمعزل عما تعانيه الطبقات الاجتماعية الدنيا، و ما كانت تلك النصوص إلا لتقدّم البرجوازية في حوارها مع ذاتها لا في علاقاتها مع الآخر المهمّش.

أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية:

نحا المجتمع الأوروبي بعد الحرب العالمية الثانية نحو التعددية الثقافية حيث مالت الأقليات إلى البحث عن نقاط التجانس بينها، وقد مال خطاب التهميش حينها نحو الحزن و استلهام الفئات اليائسة حيث ظهرت نصوص تعالج عجز الكنيسة عن حل مشكلات الأقليات و استغلال حاجات الفئات الفقيرة في المساعي السياسية البرجوازية، و من أبرز النصوص الأدبية التي ظهرت في تلك الفترة قصيدة "لوينكلر" عنوانها "مقبرة نارنج".وهي قصيدة ضد القمع بمختلف أشكاله، و رغم ما حققه وينكلر من تميز في التعبير عن كل أشكال رفض القهر و الاضطهاد فإن نقدا كبيرا ناله حيث اعتبر حاقدا على الطبقة البرجوازية التي وقفت ضده موقفا عدائيا.

و لم يتوقف التعبير عن المهمّش في التعبير الأدبي الأوروبي عند نقد السياسة و الدين بل تعدد التعبير عن المهمّش و تطوّر بتطور الفنون و أشكالها و أصبح جزء من التعبير الأدبي العام حيث لم تدّخر الطبقات المثقفة المناهضة للسياسات العدائية و العنصرية جهدا في محاربة كل أشكال التهميش والعنصرية في التعامل مع الأخر حين يكون هذا الآخر عدوا للسلطة بمختلف أشكالها.

كتاب ميشيل ماروسون: " تهميش الكتاب الإيطاليين الأمريكيين، والأدب الإيطالي الأمريكي":

تركز هذه الدراسة على تهميش الجانب الإبداعي الإيطالي، للإيطاليين الأمريكيين المقيمين في أمريكا، فالباحث يؤكد على وجود نوع من التهميش للأقليات الإيطالية، ولكنهم يبقون أفضل حالا من الأفارقة، وغيرهم من الأقليات المهاجرة.([40])

مقال أديتا أنوبكومار " مفهوم الإقصاء"([41]):

يلخص المقال فكرة الإقصاء الاجتماعي، وبدايات تكونه، حيث تخلص الباحثة إلى أن التهميش بدأ بفكرة " تحسين النسل"، حيث يكون البقاء للأصل العرق ذي الجينات الوراثية الفذة، بينما من هو أقل عراقة فمصيره الإجهاض والوأد، تبعا للمفهوم الذي أنشأه السير فرانسيس جالتون، قريب تشارلز داروين، صاحب نظرية النشوء والارتقاء، إذ دعى إلى استخدام الاستيلاد الانتقائي" ليحسن النوع الإنساني والحيواني خلال الأجيال".

إن الأمثلة المذكورة سلفا لا تكاد تكون شيئا مقابل الحركية التي يلاقيها أدب الهامش في الغرب حيث نشطت الدراسات الأدبية منذ أكثر من ثلاثة عقود تتتبع التطورات التي يشهدها أدب الهامش لما يقدمه هذا الأدب من رؤية واقعية للحياة المعيشة، بعيدا عن الحسابات الرسمية في المنظور النقدي.

أوكتاف ميربو و التهميش Octave Mirbeau et la marginalité "([42]):

في مقال بعنوان "أوكتاف ميربو و التهميش" يقدّم الكاتب "بيير ميشال" Pierre Michel الصحفي والناقد الفني و الروائي الدرامي أوكتاف ميربو (1917-1848) المعروف بكتاباته المسرحية التي أبدع من خلالها أصواتا جديدة في الرواية و المسرح، و عبر عن مشاكل المجتمع بطريقة هزلية. حيث ظهرت له العديد من النصوص المسرحية في بداية القرن العشرين مثل:"الصفقات هي الصفقات" حوّلت إلى كوميديا فرنسية سنة 1903، حديقة التعذيب 1899، ويوميات خادمة 1900...و رغم اهتمامه بالطبقات المهمشة أدبيا عرف ميربو بغناه المادي حيث عاش بقية حياته في قصر كورماي في فيكسين محاطا بكتب موقعة من طرف أساطين الأدب العالمي أمثال " جورج مونان، بيزارو، سيزان، فان كوخ، رودان وميلول..(Monet, Pissarro, Cézanne, Van Gogh, Rodin et Maillol)

و قبل أن يصل ميربو إلى ما وصل إليه من غنى و شهرة أدبية لقي بدايات صعبة عندما انفرد بأول رواية خاصة به و هو يبلغ من العمر سبعا وثلاثين سنة، و قد كان في هذه الفترة سكرتيرا لرجالات الأعمال لفترات متعاقبة. و قد عرف اهتمام ميربو بالطبقة المهمشة و تناولها أدبيا منذ سنة 1884، حين بدأ يسخّر قلمه و أمواله لخدمة الفقراء مما جعل إيميل زولا يصفه ب" العادل الذي أعطى قلبه لبؤساء ومشردي العالم"([43]) ، كما ساهم في مساعدة العديد من الكتاب و الفنانين المفلسين بأن وظفهم في دور النشر و في الصحافة، وقد عبرت مسرحيته الصفقات هي الصفقات عن رفضه للنظام السياسي الديمقراطي الذي يتعامل مع الطبقات الفقيرة و كأنها طبقات لا تنتمي إلى المجتمع، و حارب عبر هذه المسرحية فكرة هيمنة الطبقة البرجوازية على القرارات و كذا على الشعب. ظل "ميربو" يتعقب أخطاء الطبقة البرجوازية ويتتبع أحوال المهمشين في كتاباته المسرحية و الصحفية جنبا إلى جنب مع " إميل زولا" كما وقف مواقف بطولية ضد الاستعمارات و اعتبرها سالبة للحريات بجميع أشكالها كما ناهض الفكر العنصري هو و ثلة من المثقفين القلائل الذين تكبدوا عناء الصراخ بأصوات الطبقات المغلوبة والمرفوضة في المجتمعات الأوروبية.

لقد أولى "ميربو" اهتماما خاصا لأربع فئات في كتاباته الأدبية هي: فئة العبيد والمومسات والمتسولين والمجانين. و بالتأكيد ليس من قبيل الصدفة أن في روايته الأكثر شهرة، "يوميات خادمة" تظهر هذه المرأة المضطهدة المهمّشة و هي تمتلك القدرة التعبيرية ببراعة تامة و هي البراعة الأدبية التي لا تعتبر حكرا على الطبقات الراقية في نظر "ميربو". كما كتب "ميربو مقالا عن المومسات و طالب بأحقيتهن في العيش الكريم و الحصول على مناصب شغل و أن ما وصلن إليه من حال لم يكن برغبتهن بل هن نتائج أفعال العالم المتغوّل التي أوصلتهن إلى مثل هذا الوضع المزري.

أما الحديث عن المتشردين فكان منتشرا في روايات "ميربو" حين قدّم في رواياته صورا للمتشردين قصرا في شوارع باريس، و بحث أسباب التشرد التي عزاها إلى الفقر و انعدام المسكن الثابت والمستقل، واعتبر أن هؤلاء المشردين كما تجمعهم قواسم اجتماعية مشتركة فإنهم أيضا ضحية لمجتمع واحد يمارس عليهم كل أشكال الاضطهاد المادي و المعنوي، و أنهم يتسكعون في شوارع باريس للتمتع بجمالها بل لأنهم يقتاتون على فتات المارّة.

ومثّل حضور صورة "المجنون" أيضا في حكايات "ميربو" تصويرا خاصا حيث ظهر المجانين في شكل كائنات غير ضارة، صورهم أحيانا كشخصيات حالمة انطوائية تحب العزلة، و حاول البحث في أسباب انعزالها، كما صورها تصويرا مناقضا أي في شكل شخصيات ثائرة و غاضبة و بحث في أسباب غضبها من خلال حكاياته.

لقد قدم "ميربو" خلال مسيرته الأدبية صورا مختلفة للمهمّش في المجتمع الفرنسي، و شكّل تناوله هذا نوعا من الاختلاف عن الأدب الرسمي المألوف حيث ناهض العنصرية الفكرية والثقافية في الفترة التي كانت فيها الدولة الفرنسية تمارس أوحش أشكال الاستعمار في شمال إفريقيا، كما لم يتوان عن مرجعة أسس بناء المجتمع الفرنسي و البحث في سبل المساواة أدبيا و فكريا مما يجعل أدبه و كتاباته صورة متكاملة عن المهمّش بمختلف أشكاله.

الهامش في تاريخ الأدب العربي:

عندما يتحاور الفكر العربي مع ذاته و يبحث في استقصاء حقائق القضايا الاجتماعية التي طفت على سطح الأدب عبر مراحل الزمن المتعاقبة، يستقر على ثوابت علمية تبرهن الانتقال الطبيعي للمورثات الحضارية لصلب هذه القضايا و طرق التعامل معها، فإن كان قد تم التعامل معها بشكل جدّي وواع حين ظهورها لظهرت و قد ارتقت بحلولها دونما شك، و إذا ما تم التعامل معها بمنطق التجاهل و عدم الاكتراث تفاقمت و تضخمت لتصل إلى حدّ لا يمكن السكوت عنه، و بهذا المنطق تحديدا رجع عديد النقاد و الدارسين إلى تاريخ الأدب العربي ينظرون القضايا الفكرية والاجتماعية و الدينية التي تم استلهامها في نصوص الأدب شعرا و نثرا، ووفقوا في تنوير العقول بنتائج قيمة، كما أنهم وقفوا على ظواهر استعصت لتشابك فروعها أو اختلاف النظر فيها.. أو غير ذلك من الأسباب العلمية. لكن المستقصي

لظاهرة التهميش في المنوال الشعري العربي ليكاد يرصد أن الظاهرة عميقة و متجذرة، بل أن شعر المهمشين صورة عن الواقع الفكري و الحضاري لتلك الأمم قبل أن ينوّرها الإسلام بنوره، ولعل الإسلام نفسه لم يسلم في بداية ظهوره "فالرسول صلى الله عليه وسلم، عندما أتى بنور الحق واليقين، وحمل رسالته السماوية من عند الخالق، عزله قومه هو ومن آمن معه، خوفا من نور ووهج هذه الدعوة السماوية التي تزلزل أركان عروشهم. ومن بعده حورب أهل الفكر والعلم والفلاسفة، فابن رشد اضطر لحرق كتبه، أبو حيان التوحيدي عزل عن مجتمعه، وكان يشكو من عدم الاهتمام به، وغيره من المبدعين ممن كانوا أسوأ حالا منه، فمنهم لم يوثق في سجلات ومتون كتب العلم والأدب، وهذا غيض من فيض ذكر بعضه الدكتور ياسين الأيوبي في كتابه " مهمشون مبدعون في تراثنا الأدبي"، الذي يركز فيه على شعراء حجبوا عن الآخرين، وحرموا من أن يتمتعوا بمواهبهم الشعرية بأن يكونوا مثار اهتمام من وسط ثقافي محيط"([44]).

اتصلت ظاهرة التهميش قبل الإسلام بالظواهر الاجتماعية المنتشرة و التي تحكمت في منطق العلاقات بين البشر، حيث يتصل التعبير عن هذه الفترة بالفكر الطبقي الذي يؤسس لظواهر موازية أو معقدة لا تنفصل عن نتائج الأعمال التي تنجم عنها منها: الاستعباد، الفقر، دونية المرأة ،...وغيرها من المظاهر كثير نتتبعه عبر التعبير الشعري.

الأسباب الاجتماعية لحضور التهميش في المنوال الشعري قبل ظهور الإسلام:

الاستعباد (الاسترقاق) و حضور معنى الآخر:

يحضر شعر الصعاليك بقوة التاريخ و براهينه ليقدّم بشكل واضح مظاهر التهميش بمختلف أبعادها، ولتلوح ظاهرة الاسترقاق في أشعارهم بارزة ترسم علاقة الأنا "العبد الأسود" بالآخر فارضة منطق الطبقية و العنصرية الاجتماعية. أما إن عرجنا على مفهوم الطبقة أساسا لفهم مشاعر الدونية التي تتحصل في طبقة دون الأخرى "فالطبقة في ذاتها تشتمل على الوجود الموضوعي للطبقات، الذي أنتجته بنية اجتماعية و الذي يشتق أساسا مما حدده ماركس – على نحو متنوع- للظروف الاقتصادية و الاجتماعية و المادية للوجود. فهذه الطبقات متمايزة بعضها عن البعض الآخر من خلال التفاوت والتباين في القوة و الثروة و الأمن، و الفرص و الوضع... "([45]).

و يرى الناقد هاني نعمة أن أساس النظرة الدونية للآخر "الأسود" تعود إلى أسباب مختلفة أوّلها واقع التاريخ؛ إذ يقول: "إذا كان الأبيض يؤمن بأن عرقه سام، لذا فهو أرقى الأعراق و أسماها، أما نظرته إلى العرق الحامي فكانت نظرة ازدراء وتحقير وإقصاء و تهميش"([46]) ، و ليس هذا السبب وحسب فإن هذا العرق الحامي ليؤمن إيمانا عميقا أن المجتمعات القبلية راضخة رضوخا تاما للعصبية القبلية "فلقد كانت البوادر الأولى للتعصب والتمركز الثقافي و العرقي في المجتمع ترجع إلى صيغة التحام الأفراد بجماعاتهم القرابية العشائرية"([47])، لذا تصادفنا طبقات اجتماعية ترتبت بحسب أفضليتها الأولى تلو الأخرى على النحو التالي:

- طبقة الصرحاء: وهم ذوو الدم النقي في القبيلة يتمتعون بمزايا كبيرة عدا الثراء و الوجاهة.
- طبقة الموالي: تتكون من العبيد البيض و الخلعاء الذي نبذوا لارتكابهم الجرائم.

- طبقة العبيد: كل من لم يكن جزء من القبيلة و هم من الدخلاء المرفوضين أو من الذين استجلبوا للخدمة و الذين تطبق عليهم كل أنواع التهميش و التحقير، حيث لا رابط بينهم وبين القبيلة سوى "رابطة العبد بالسيّد، و رابطة الضعيف بالقوي، أي أن موقع هذا الأسود...هو موقع دوني، يقع في الأسفل، أما العربي الأبيض فهو في الأعلى إنه يتمسك بخيوط اللعبة فيتحكم بالآخر كما يشاء، يبيعه، يشتريه، يشتمه، يحقّره، إنّه ملك له يتصرف فيه كما يريد، دون حسيب أو رقيب من نظام أو مجتمع أو ضمير"([48]).

و لا تتوقف أسباب التهميش في منظور الأسود عند العبودية فقد انجر عنها مشكلات أخرى هي:

- ممارسة العنف المادي (الجسدي)

- العنف الثقافي التخييلي مجسدا في التصوير الشعري الذي يمثّل الحق باطلا و الباطل حقا ومنه تفرعت نظرة الأسود للأبيض سلبا و إيجابا، ويستحضر عنترة في هذا الصدد العديد من المعاني السلبية منها : (الدموع، الحزن، الخوف، القلق، الصدّ و الهجر، و الإعراض...) وفي الأبيات التالية تصريح عن المعاني السالفة يقول: في حبّه لعبلة:([49])

إذا كان دمعي شاهدي كيف أجحد   و نار اشتياقي في الحشا تتوقّد
وهيهات يجفى ما أكنّ من الهوى   وثوب سقامي كلّ يوم يجــدّد
أقاتل أشواقي بصبري تجلدا   و قلبي في قيد الغــرام مقيّد
إلى الله أشكو جور قومي و ظلمهم   إذا لم أجد خلا على البعد يعضد
خليليّ أمسى حبّ عبلة قاتلي   و بأسي شديد و الحسام مهنّد
حرام عليّ النّوم يا ابنة مالك   و من فرشُه جمر الغضا كيف يرقد
سأندب حتّى يعــلم الطّير أنني   حزين و يرثي لي الحمام المغرّد

الفقر سبب للتهميش:

الفقر سبب رئيس في تهميش طبقات المجتمع الدنيا، هذا ما أحسّ به الشاعر الفقير و نقله شعراو في مثل هذا المعنى يقول طرفة بن العبد:

إذا قل مال الفرد قلّ بهاؤه   و ضاقت عليه أرضه و سماؤه
و أصبح لا يدري و إن كان حازما   أقُدامُــه خير له أم وراؤُه

و في صورة أكثر إيلاما يهمّش الفقير من طرف آله و ذويه، يقول طرفة:

إذا قلّ مال المرء قلّ صــديقه   و لم يحلُ في قلب الخليل إخاؤه
إذا قلّ مال المرء لم يرض عقله   بنُوه، و لم يغضب له أولياؤه
و أصبح مردودا عليه كلامه   و إن كان منطقيا قليلا خطاؤه

و في مقابل هذه الأسباب بيّن المهمشون من ألوان التّمرّد على الأهل و القبيلة و معاني الاحتقار والاستعباد الكثير، منه ما جاء على لسان الشنفرة قائلا:

خرجنا فلم نعهد و قلّت وصاتنا   ثمانية ما بعدها متعتّب
سراحين فتيان كأن و جــوههم   مصابيح أو لون من الماء مهذّب

إلى أن يقول:

فلمّا رآنا قومنا قيل أفلُحوا   فقلنا:اسألوا عن قائل لا يكذّب

و ترافق مع التمرد وصف التشرّد مع الحيوان و التهديد و الوعيد للأهل و الأعداء و الفخر بالشجاعة ووصف السلاح و المراقب و الفرار و سرعة العدوّ و كرمهم فيما بينهم، و كذا تقديرهم للمرأة عكس ما ألفناه من تقليل من قيمتها في شعر القبليين.

و لم تزل صورة المهمّش تتردّد في شعر الشعراء العرب عبر العصور الأدبية ، لتتناقلها المقامات والطرف التي تتهكّم على البخلاء و نوادر الباعة و المحتالين و الحمالين.. و غيرها من الفئات التي كثر تناولها تناولا ساخرا و عنها أسهب الجاحظ، و في خط مواز انبرى أبو حيان التوحيدي يعصف بالولاة والقضاة رادا أسباب الظلم و التهميش لهؤلاء و قد ناله ما لم يخفه الزمن من تكفير و تضييق.

تصوير المهمّش في الرواية العربية:

مثّل المختلِف المهمّش ظاهرة روائية اكتسحت المشهد السردي العربي بامتياز أيضا، حين خلق الروائيون من خلال نصوصهم نوعا من التواصل الفعلي مع الواقع والحياة في أكثر صورها البائسة تغييبا، حيث شكّلت كتابة المهّمش

حوارية خاصة بين الراوي والمنظور الشعبي، فقد مال بعض الروائيين إلى إنتاج الروايات التي تعبر عن وعي فئات الشعب التي تتقاطع في كل أسباب المعاناة، "ولكنها تنفتح على تنوع لغوي إحساسي –إذا صحّ التعبير- عميق حين نقرأه في الصمت، أو في سرد حواري تتميز لغته بالاقتصاد و لكن لتوحي بأبعد، و بأكثر مما نقول ... وربما بمعرفي مختلف مضمر ومتروك للقراءة"([50]) ، إن هذا السرد يعكس بصورة واضحة تطور مفهومي الدونية و الإقصاء ببلاغة المهمّش و لو كان منقولا بوعي الروائيين الذين اعتبروا مركزا أو نخبة في ظل الفهم المؤسساتي، إن هذا السرد المحتفي بالهامش " يراهن على الاشتغال على رؤية متصلة بالراهن المعيش، وبالسياقات السياسية والثقافية التي أنتجت هذه الكتابة المرتكزة على فضح آليات الإقصاء لعناصرها الثقافية، كذلك تراهن على "رؤية العالم" لتحتفي بما هو مستبعد من قبل المركز في ظل سياق سياسي وثقافي متباين ومغاير عن السابق"([51]). و كأننا بالاشتغال الروائي على المضمرات النصية بات أعمق من مسألة التخييل، و حوارية النص والذات إلى تفتيق الوقائع و نقلها بشكل تأملي يتجاوز العرف الفني – الروائي المألوف غربيا، إلى عرف فني جديد أكثر استغلالا لفنيات الرواية و تجديدا لمضامينها أو محاولة من خلالها للاقتراب من الواقع و نقل ما يحدث فيه دون تلميع أو تلوين، "هو بمثابة بديل لتنويع لغوي حواري معرفي لا توفره شروط العيش للمهمّش أو للهامشي. أو لنقل أن ثقافة الهامشي مارست لدى بعض الروائيين فعلها واستدعت ضروراتها الفنية فأبدعت عالما روائيا عبّر عن قدرته على المجيء بأناسه إلى هذا النوع الأدبي – الرواية- مساهما في تنوعه لا خاضعا لقواعده وقوانينه المنسوبة إلى الغرب"([52]) .

في هذا الشأن يقول الروائي **جمال الغيطاني:** "لا يمكن بحال الإحاطة في سطور بالمشهد الكلي للقصص وروايات تناولت المهمشين، وإن كانت ثمة نماذج بارزة في تاريخ الإبداع, فهناك أعمال ديستويفسكي, وغوركي، وتشيكوف، وهيمنجواي، ومورافيا، وكامي، وهنري ميللر، وكلها احتفت بشكل أو بآخر بنماذج من بشر عاديين "مُهانين" دائمًا على المستوى المعنوي والمادي, بل أن بعضهم يحمل بين طياته مشاعر وأحاسيس عبقرية, ولكنها لا تمنحه قدرًا من التواصل الفاعل في مجتمعه، وبذلك قد يلجأ البعض للانتحار أو الاستسلام للعجز كإشارات إدانة لواقع لا يحقق له الأنصاف والحضور الطبيعي."([53]) ومن جانبه، قال أنور الخطيب في تصريحات نشرتها صحيفة "الخليج" الإماراتية،: "إن رواية المهمشين ازدهرت في السنوات العشر الماضية، حين كشفت التحركات الشعبية في العديد من الدول العربية عن الشرائح الفقيرة، والعاطلة عن العمل، والفئات المنبوذة في مجتمعاتها، وعن شرائح كانت تعاني التمييز، في بعض المجتمعات العربية، وتلك الفئات المعارضة المثقفة التي كانت تنحاز للمعارضة في وجه الأنظمة الدكتاتورية والاستبدادية، كما كشفت عن شرائح تعاني التمييز العنصري والتهميش بسبب اللون، موضحاً أن مشهد العشوائيات وسكان المقابر في كل بلد عربي يؤكد وجود المهمشين، ناهيك عن ملايين اللاجئين الفلسطينيين الذين يتعرضون للتهميش منذ 76 سنة، ومنذ خمس سنوات، ملايين اللاجئين من أكثر من دولة عربية ليشكلوا شريحة ضخمة يفوق عدد سكانها عدد سكان بعض الدول، ما يؤكد اتساع رقعة التهميش والمهمشين في العالم العربي([54]).

وأكد الخطيب، أن الرواية العربية تطرقت للمهمشين منذ زمن، من خلال المغربي محمد شكري، ونجيب محفوظ، ومحمد البسطامي، وصنع الله إبراهيم وإبراهيم أصلان من مصر، وإميل حبيبي وغسان كنفاني من فلسطين، إلا أن الرواية العربية المكتوبة ما بعد 2010 أخذت منحى آخر للحديث عن المهمشين، وركزت على جانب تأمين العيش للفرد بكرامة و التعبير بحرية و تحقيق العدالة الاجتماعية و كبح كل محاولات القهر و الإقصاء السياسي، حيث إنه وفي الأعوام الثلاثة الماضية ركزت على قضايا الاضطهاد الديني والسياسي، التي تكاد تكون ملحوظة في أكثر الروايات العربية الصادرة في هذه الفترة.

واستجماعا لأبرز العمال القصصية و الروائية الصادرة في العشرية الأخيرة، و التي حققت مقروئية عربية واسعة على مستوى الدول العربية ذاتها أو نقلت عبر الدراسات النقدية مما جعلها تشيع و تقرأ بين هذه الدول، فمن أبرز هذه الأعمال السردية:

المؤلف	عنوان العمل السردي	نوعه
نجيب محفوظ	ميرامار	رواية
الكاتب السعودي عبده خال	"ترمي بشرر"	رواية نالت جائزة البوكر2010
الكاتب السعودي يوسف المحيميد	"فخاح الرائحة"	رواية
والكاتب التونسي الطيب الطويلي	"نقمة المهمشين"	رواية
الكاتب المغربي محمد شكري	"الخبز الحافي"، "وجوه"، و"الشطار"."جوع"	روايات
الروائي المصري محمد البساطي	"تلك الرائحة" و"اللجنة"	رواية
صنع الله إبراهيم	"بحيرة المساء"، "يوسف والرداء"، "مالك الحزين"،	روايات
إبراهيم أصلان	و"وردية ليل"	روايات
خيري شلبي	"سارق الفرح"	قصة
بلال فضل	"ما فعله العيان بالميت	مجموعة قصصية
سعود السنعوسي	"ساق البامبو"	رواية

إن القائمة أطول مما يمكن اختزاله في هذا الصدد، لكن مقولة الكتابة عن الهامش لا تقصي في حقيقة الأمر رواية كرواية " زينب" لمحمد حسين هيكل التي نقلت حياة فلاحة فقيرة، بل ونقلت مؤلفها عبر ما اعتبر جرأة فنية و كسرا عميقا لحواجز الكتابة من الهامش إلى المركز، ولا هو إقصاء لروايات نجيب محفوظ التي تشبثت بنقل الحياة الشعبية إلى سطح الرواية المركزية، و مهما يكن من حال فإن هذه الأعمال الروائية أو القصصية قد أحدثت شبه صدمة أخلاقية جسّ من خلالها مدى المنع الذي يمكن أن تمارسه السلطة بشتى أنواعها و فروعها من محاولات التضييق، ولن نكذب إن قلنا بان ذلك قد حصل فعلا و في أكثر من مناسبة حيث منعت بعض الأعمال الروائية و القصصية من البيع، أو النشر أو التوزيع في دول معينة لأسباب و معايير أبعد هي عن المعايير النقدية الموضوعية، و حينها ضاعت كل فرص النجاة بحرية القراءة الواعية و إن كان هذا الإشكال قد تمّ تجاوزه لاعتبارات تكنولوجية كفّت كل محاولات التضييق و الإقصاء.

الاهتمام النقدي برواية الهامش:

في كتاب "الرواية العربية المتخيّل و بنيته الفنية" قامت الناقدة يمنى العيد بالبحث في فصله الأول حول ما أطلقت عليه المرجعي و فنيّته الروائية حيث حاولت من خلال هذا العنوان الكشف عن دور المرجع أو المرجعي و هو في منظورها الواقع بكل تفاصيله المعيشة، في تشكيل عالم الرواية حيث تقول في مقدمة الكتاب: " ليس ما قدمته في هذا الكتاب بحثا في الواقع المرجعي أو في المدلول، أو في المعاني، أو في الموضوع، أو في الحكاية... بل هو بحث عن الأثر، أثر الواقع المعيش، و بصفته المرجعية، وفي شكل بنية عالم الرواية"(55) ، وبناء على ذلك توغلت الناقدة في محاولة منها للكشف عن المرجعي المهمّش و بيان دوره في صنع الحدث أو الشخصية و توصيل فكرها ضمن الواقع و عنه، و هي الوسيلة التي سبرت من خلالها رواية "ميرامار لنجيب محفوظ"(56) ، و كشفت منها المهمّش من خلال التركيز على الحوارية المتشكلة " في قاعدة الوعي اللغوي الحواري الذي عناه باختين، و الذي يميز الشخصيات وفق انتماءاتها إلى فئات اجتماعية لها نظم حياتها ورؤاها، ووعيها المعرفي-النقدي للواقع الذي تعيش فيه و ترفضه، و للحياة التي تنو إليها" و هي ذات الحوارية التي تتبعتها الناقدة من خلال رواية "وردية ليل لإبراهيم أصلان"، إنها الحوارية المبنية المرتكزة على الوعي اللغوي المعبّر عن وعي فئات شعبية واسعة.

أما في كتاب "الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيوثقافية" الذي توسعت فيه الناقدة هويدا صالح في البحث في المستويين الاجتماعي و الأدبي، فقد أرادت من خلال الكتاب بناء رؤية نقدية اجتماعية متكاملة الأركان بدء من مسمّى الهامش و التقاطعات المفهومية مع غيره من المسمّيات التي أطلقت عبر العصور و من خلال نقاد المركز، وصولا إلى تناول المهمّش في روايات الشطار، وتكون بيئة تحفل بمشهدية الهامش، لتخصّص الفصول الثلاثة من الكتاب للسرد، " فالسرد بقدرته على الرصد التفاصيل والجزئيات، و تمكنه من عرض المشاهد وتحيينها، و استطاعته كشف التناقضات كان الفن الأثير لدى كتاب الاختلاف و التمرّد. و قلما نعثر في الشعر على إمكانات السرد الهائلة التي تمكن الأدباء الأدباء من تصوير واقع مجتمعهم، و تجسيد ظروف المهمشين المقهورين فيه. ويأتي الميتاسرد ليكشف عن عالم الأدباء، و أسئلة الكتابة لديهم باعتبارهم تمثلا مهما من تمثلات الهامش"([57]) .. هكذا بررت هويدا صالح حقيقة تناولها للهامش و قضاياه في الرواية العالمية و من ثمّ العربية حيث أقامت شبكة من العلاقات المتقاطعة و المتعدية بين الروائيين و الظروف التي دفعتهم لاستغلال المهمّش موضوعا، واقفة على المبررات السوسيوثقافية و التكثيفات الدلالية الخادمة لصور الهامش بتفاصيلة.

و ليست هتان الدراستان الوحيدتان على المستوى النقدي، بل باشرت عديد الدراسات الفنية والنقدية مشروع البحث في الكتابة عن الهامش، منها النقدي المتخصص و غير المتخصص الذي يظهر في النقد الصحفي عبر المجلات غير المتخصصة الورقية و عبر الشبكة الإلكترونية مما يبين مستوى الاهتمام البالغ بالكتابة عن الهامش على اختلاف أوجهها وغاياتها.

ختاما: يمكننا في هذا المقام تلخيص ما ترتّب بين أركان هذه الدراسة في جملة النتائج التالية:

- استلهمت رواية الواقع عبر جميع مراحل تطورها الإنسان و قضايا مجتمعه، و غذت الرواية المعاصرة بمختلف أنواع التناول الفني ، الموضوعاتي أو الناقد مما عزّز قيام رواية المهمشين كفرع ثابت لها، جذوره واقعيه، و فروعه تتقاطع مع المتغيرات الفنية على مر الزمان.
- يمثّل مصطلح الهامش مفاهيم متعددة تتفاوت من حيث درجات الإقصاء و النبذ و الرفض، لكنها تتفق حول اعتبار المهمّش- أي من وقع عليه فعل التهميش-، جزء من طبقة- مهما كان نوعها أو انتماؤها- غير مرغوب فيها ضمن المجتمع.
- فكرة التهميش قديمة قدم التاريخ و متجذرة في التعبيرين الأدبيين، الغربي و العربي.
- تنوعت أشكال التعبير عن الهامش في الشعر العربي القديم، حيث مثّل الصعاليك هذا الشكل من التعبير الشعري بمضامينه المتنوعة تنوع المهمشين و قضاياهم، بطريقة منقطة عمّا كان شائعا في زمانهم.
- احتفى السرد العربي القديم بصور المهمشين و قضاياهم خصوصا في العصر العباسي أين تعددت أشكال المهمّشين و تم استغلال ذلك أدبيا في شكل طريف شائق.
- استثمرت الرواية العربية المعاصرة صور المهمّشين مستفيدة من التراث الذي تزخر به المكتبة الأدبية العربية شعرا و نثرا، ناقلة الواقع المعيش، و ثائرة على الظروف الاجتماعية التي باتت تبدو أكر قسوة في المنوال السردي من خلال العناية بنقل التفاصيل و التركيز على حقائق كانت بعيدة عن التناول سرديا.
- بدأ النقد العربي المعاصر يهتم بالكتابة عن المهمّش بوعي نقدي مستغلا النظريات الاجتماعية متجاوزا النظريات الحداثية التي سعت إلى الاهتمام بالبناء و طرق تقديمه، مهملة المضمون الذي يؤسس للبناء في مطلق الأحوال.

الهوامش:

---

[1]- آرون بول و آخرون، معجم المصطلحات الأدبية، تر:محمد حمود، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:01، 2012، ص:1261.

[2]- نفسه، ص:1261.

[3]- عبد الله محمد حسن، الواقعية في الرواية العربية، مهرجان القراءة للجميع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2005، ص:26،29.

[4]- ينظر:نفسه، ص:49.

[5]- نفسه، ص:45.

[6]- نفسه، ص:51.

[7]- نفسه، ص:23.

[8]- نفسه، ص:45.

[9]- نفسه، ص:45-46.

[*]- إن ظهور الأدب الطبيعي كان نتيجة للتقدم التكنولوجي الذي عرفه القرن التاسع عشر، حيث تميز هذا النوع من الأدب بارتباطه الوثيق بالحياة، و من أبرز من عمل على الأدب الطبيعي و تطوره "هيبوليت تين"، من خلال كتابه "تاريخ الأدب الانجليزي 1863" حيث حدد فيه العوامل المؤثرة في نشأة و تطور الأدب، و ربطها بعوامل ثلاث هي: الجنس و البيئة و الزمن، و بعده أضاف "سانت بيف" تأثير العلاقات الاجتماعية في الأدب.

[10]- عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ج:03، ط:01، 1983، ص:17.

[11]- ينظر: عبد الله محمد حسن، الواقعية في الرواية العربية ، ص: 44.(نقلا عن Encyclopededia Britannica, vol 9,p:425)

[12]- نفسه، ص: 53.

[13]- آرون بول و آخرون، معجم المصطلحات الأدبية، ص: 1262.

[14]- مندور محمد، الأدب و مذاهبه،دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط:02، 2002، ص: 82-83.

[15]- نفسه، ص:85.

[16]- نفسه، ص: 93.

[17]- عبد الله عبد الدايم، الأدب العربي بين الحرية و الالتزام، ص:04.

[18]- آرون بول و آخرون، معجم المصطلحات الأدبية، ص: 1262- 1263.

[19]- نفسه، ص: 1264.

[20]- شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان،ط:01، 1986، ص:85.

[21]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (همش)، تحقيق:عامر أحمد حيدر، مراجعة:عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت ، ج:6، مادة (همش)، لبنان، ط:01، 1424-2003.

[22]- عمر الزعفوري، التهميش و المهمشون في المدينة العربية المعاصرة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، ع:4، م:36،أبريل-يونيو 2008، ص:186.

[23]- سعاد العنزي، المهمشون في الأدب،http://thaqafat.com/2013/10/21811

[24]- مؤتمر أدباء الأقاليم صوت المسكوت عنهم والمهمشين، تاريخ النشر: السبت 14 يناير 2006 http://www.alittihad.ae/details.php?id=45267&y=2006

[25]- حسين عطية، كتاب «الهامش الاجتماعى فى الأدب» لهويدا صالح -مهمشون لكن نبلاء.. انحياز أيديولوجى أم نقد موضوعى؟، القاهرة، الرابط الإلكتروني- http://alkahera.co/2016/04/07

[26]- نفسه، ص:186.

[27]- هاني نعمة حمزة، شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام- دراسة وفق الأنساق الثقافية-، دار الفكر للنشر والتوزيع، العراق، ط:001، 1434ه-2013م،ص:19.

[28]- نفسه، ص:19.

[29]- عمر الزعفوري، التهميش و المهمشون في المدينة العربية المعاصرة، ص:20.

[30]- آرثر إيزابرجر، النقد الثقافي-تمهيد مبدئي للمفاهيم الأساسية، ترجمة: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط:01، 2003، ص: 204.

[31]- نفسه و الصفحة.

[32]- نفسه، ص:206.

[33] Antoine . S .Bailly ; La marginalité ; une approche historique et épistémologique . p109 (In: Anales de Geografia de la Universidad Complutense, 1995, n° 15, p. 109-117.)-

[34]- عمر الزعفوري، التهميش و المهمشون في المدينة العربية المعاصرة، ص: 18,

[35]- السابق، ص: 196.

[36]- نفسه، ص :207.

[37] - voire **:** Xavier Galmiche et Delphine Bechtel ; Figures du marginal dans les littératures centre-européennes ; http://www.circe.paris-sorbonne.fr/spip.php?article50.

[38] - voire **:** Xavier Galmiche et Delphine Bechtel ; Figures du marginal dans les littératures centre-européennes ; http://www.circe.paris-sorbonne.fr/spip.php?article50

[*]- **عصر الأنوار** أو **عصر التنوير**:هي حركة سياسية، اجتماعية، ثقافية وفلسفية واسعة، تطورت بشكل ملحوظ في القرن الثامن عشر في أوروبا. نشأت في إنجلترا ولكن التطور الحقيقي كان في فرنسا. وتحول مفهوم التنوير ليشمل بشكل عام أي شكل من أشكال الفكر الذي يريد تنوير عقول من الظلام والجهل والخرافة، مستفيدا من نقد العقل ومساهمة للعلوم.

[39]- المهمشون .. كيف يعيشون في السرد العربي؟ وكالة الصحافة العربية نشر في حريات يوم 01 - 01 – 2013 http://www.hurriyatsudan.com/?p=918

[40]- ينظر: ميشيل كاراسون، " تهميش الأدباء الأمريكيين، والأدب الإيطالي الأمريكي"، كلية بوركلاين ، 2007م.

[41]- أديتا أنوبوكمار، مفهوم الإقصاء، ترجمة: بنثينة إبراهيم،(نقلا عن: سعاد العنزي، المهمشون في الأدب، الرابط الإلكتروني: (http://thaqafat.com/2013/10/21811

[42] - voire : Arlette Bouloumié ; FIGURES DU MARGINAL DANS LA LITTÉRATURE FRANÇAISE ET FRANCOPHONE / *Pierre Michel ;* Octave Mirbeau et la marginalité **;** Angers ; 2003.

[43] -[43] Lettre de Zola à Octave Mirbeau du 3 août 1900 (*Correspondance* d'Émile Zola, C.N.R.S. - Presses uni...

[44]- سعاد العنزي، المهمشون في الأدب، الرابط الإلكتروني: http://thaqafat.com/2013/10/21811

[45]- آرثر آيزبرجر، النقد الثقافي-تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية،ص:91.

[46]-- هاني نعمة حمزة، شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام- دراسة وفق الأنساق الثقافية-، ص:27.

[47]- نفسه، ص:28.

[48]- نفسه، ص: 30.

[49]- ديوان عنترة، تحقيق و تقديم فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب بيروت، لبنان، à3 نيسان 1968، ص:41.

[50]- يمنى العيد، الرواية العربية ، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط:01، 2011، ص:20.

[51]- هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب-قراءة سوسيوثقافية-، دار رؤية للنشر و التوزيع، ط:01، 2015، ص:27.

[52]- نفسه، ص:20.

[53]- المهمشون .. كيف يعيشون في السرد العربي؟ ،وكالة الصحافة العربية، نشر في حريات يوم:01-01– 2013، http://www.hurriyatsudan.com/?p=91878

[54]-- ينظر: روائيون: قضايا المهمشين وأحلامهم تهيمن على الكتابة العربية اليوم
http://www.kataranovels.com2016 ,4 مايو

[55]- يمنى العيد، الرواية العربية –المتخيل و بنيته الفنية، ص:9.

[56]-- ينظر، نفسه، ص:19-20.

[57]- هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب-قراءة سوسيوثقافية-، ص:24.

ثبت المصادر و المراجع:

- ابن منظور(الفضل جمال الدين بن مكرم)، لسان العرب، تحقيق:عامر أحمد حيدر، مراجعة:عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت ، ج:6، لبنان، ط:01، 1424-2003.

- آرثر إيزابرجر، النقد الثقافي-تمهيد مبدئي للمفاهيم الأساسية، ترجمة: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط:01، 2003.

- آرون بول و آخرون، معجم المصطلحات الأدبية، تر:محمد حمود، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:01، 2012.

- ديوان عنترة، تحقيق و تقديم فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب بيروت، لبنان، 3à نيسان 1968، ص:41.

- عمر الزعفوري، التهميش و المهمشون في المدينة العربية المعاصرة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، ع:4، م:36،أبريل-يونيو، 2008.

- عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ج:03، ط:01، 1983.

- عبد الله محمد حسن، الواقعية في الرواية العربية، مهرجان القراءة للجميع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2005.

- عبد الله عبد الدايم، الأدب العربي بين الحرية و الالتزام،

- مندور محمد، الأدب و مذاهبه،دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط:02، 2002.

- ميشيل كاراسون، " تهميش الأدباء الأمريكيين، والأدب الإيطالي الأمريكي"، كلية بوركلاين، 2007م.

- هاني نعمة حمزة، شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام- دراسة وفق الأنساق الثقافية-، دار الفكر للنشر والتوزيع، العراق، ط:001، 1434ه-2013م.

- هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب-قراءة سوسيوثقافية-، دار رؤية للنشر و التوزيع، ط:01، 2015.

- يمنى العيد، الرواية العربية المتخيّل و بنيته الفنية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط:01، 2011.

المقالات المنشورة على الشبكة الإلكترونية:

- أديتا أنوبوكمار، مفهوم الإقصاء، ترجمة: بنثينة إبراهيم،(نقلا عن: سعاد العنزي، المهمشون في الأدب، الرابط الإلكتروني: (http://thaqafat.com/2013/10/21811

-حسين عطية، كتاب «الهامش الاجتماعى فى الأدب» لهويدا صالح -مهمشون لكن نبلاء.. انحياز أيديولوجى أم نقد موضوعى؟، القاهرة، الرابط الإلكترونيhttp://alkahera.co/2016/04/07

- سعاد العنزي، المهمشون في الأدب،http://thaqafat.com/2013/10/21811

- روائيون: قضايا المهمشين وأحلامهم تهيمن على الكتابة العربية اليوم، مايو 4, 2016.

http://www.kataranovels.com

- مؤتمر أدباء الأقاليم صوت المسكوت عنهم والمهمشين، تاريخ النشر: السبت 14 يناير 2006

http://www.alittihad.ae/details.php?id=45267&y=2006

- وكالة الصحافة العربية، المهمشون .. كيف يعيشون في السرد العربي؟ نشر في حريات يوم 01 - 01 – 2013 ((http://www.hurriyatsudan.com/?p=918

- Xavier Galmiche et Delphine Bechtel ; Figures du marginal dans les littératures centre-européennes ; http://www.circe.paris-sorbonne.fr/spip.php?article50.

-المقالات باللغة الأجنبية:

- Antoine . S .Bailly ; La marginalité ; une approche historique et épistémologique . p109 (In: Anales de Geografia de la Universidad Complutense, 1995, n° 15, p. 109-117.)

-Arlette Bouloumié ; FIGURES DU MARGINAL DANS LA LITTÉRATURE FRANÇAISE ET FRANCOPHONE / *Pierre* Michel *;* Octave Mirbeau et la marginalité **;** Angers ; 2003.